

رموز السالكين و أسرار العارفين

اثر: الدكتور امير محمود أنوار

استاذ كلية الآداب والعلوم الانسانيه بجامعة طهران

هذه المقالة مأخوذة من الأطروحة التحقيية

في الشرح على شرح الشيخ حسن البوريني والنايلسى على خمريه ابن الفارض

(من ص ١٥ حتى ٣٠)

خلاصة :

لشعراء العرفاء في بيان الحقائق العرفانية طريقة خاصة فهؤلاء يريدون من ذكر آيات اللهو و اللعب في اشعارهم و آثارهم المعاني الأخرى الباطنية غير المعاني الظاهرية. والطف و القهر من صفات الله تعالى ولوجوه الملاح الجميلات و ذوائبهن نصيب منها، لكن يجب أن نلاحظ بأن وجه الشبه بين المعاني المحسوسة والمعقولة العرفانية او بين المعاني الظاهرية و الباطنية ليس شبيها كليا لأن بين المحسوس والمعقول مسافة بعيدة ولا يجوز للعارف أن يبحث و يتفحص التشابه التام بين المحسوس و المعقول، و كما قيل؛ يكفي في التشبيه أدنى ملاسة. و لهذا قال الشيخ الشبستري:

ولى تشبيه كلى نيست ممكن زجستجوى آن مى باش ساكن
و من الالفاظ التى يستعملها العرفاء كثيرا فى أشعارهم و أقوالهم «المدمام
والخمر» كما يقول ابن الفارض المصرى:
شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

الكلمات المفتاحية: عرف العرفاء، الشعر العرفانى، الحقائق الربانية.

المقدمه:

لشعراء العرفاء فى بيان الحقائق العرفانية و أسرار الدقائق الربانية طريقة خاصة
فهؤلاء يريدون من ذكر آلات اللهو و اللعب فى أشعارهم معانى أخرى غير المعانى
الظاهرية:

هاتف أرباب معرفت كه گهى	مست خوانند شان و گه هشیار
ازمى و جام و ساقى و مطرب	وزمغ و دیر و شاهد و زئار
قصد ایشان نهفته اسرارىست	كه به ایما كنند گاه اظهار
پى برى گربه راز شان دانى	كه همين است سر آن أسرار

كه يكى هست و هيچ نيست جز او

وحده لا اله إلا هو^١

فالشاعر العارف الهاتف الاصفهاني يخاطب نفسه فى هذه الابيات قائلاً: ان
العرفاء الذين يطلق الناس عليهم حيناً صفة السكر و حيناً صفة الصحو والوعى، يستعملون
كلمات "كالخمر و الساقى و المطرب و المغم و الدير و الشاهد و الزنار، و يقصدون فى ذلك
الاشارة الى أسرار عميقة عرفانية ربانية. و اذا أطلعت على سرهم لعلمت أن سر هذه الاسرار:
الله تعالى واحد أحد و ليس شى سواه وحده لا اله الا هو.

و اذا أرادوا أن يوصلوا المعانى العالية العرفانية الى أذهان طالبى هذا العلم و
سالكى هذا الطريق يستفيدون من اسماء المحسوسات.

و فى العرفان تستعمل الالفاظ و أسماء الاشياء الظاهرية فى المجاز و الاستعارة و
التشبيه للمعانى الباطنية المستترة و هذا من باب اشارات أرباب الكشف. فمثلاً
كلمات: "العين، و شعر الحبيب، أوردوها فى اشعارهم و أحاديثهم و استفادوا منها
بعض المعانى الرمزية كاطلاق كلمة "العين" على ذات الله تبارك و تعالى و "الشعر"
على صفاته و أسمائه. و لهذا حينما يسأل "مير حسينى سادات الهروى فى رسالة الى
الشيخ محمود الشبستري^٢.

چه خواهد مرد معنى زان عبارت كه دارد سوى چشم و لب اشارت؟

چه جوید از رخ و زلف و خط و خال کسی کاندرد مقامات است و احوال؟
(ماذا يريد رجل المعنى من تلك العبارة التي يشير فيها الى العين والحاجب؟ و
ماذا ينبغي من هو سالک سبيل المقامات و الاحوال من الخدّ و الشعر و الوجه و
الصدغ والحاجب و الخال؟ يجيب الشبستري^٢.

هر آن چیزی که در عالم عیانست چو عکسی ز آفتاب آن جهانست
جهان چون خط و خال و زلف و ابروست که هر چیزی بجای خویش نیکویست
تجلی گه جمال و گه جلال است رخ و زلف آن معانی را مثال است
صفات حق تعالی لطف و قهر است رخ و زلف بتان را زان دو بهر است
الدنيا كالعروض و الخال و الشعر و الصدغ و الحاجب و هذه كلها جميلة اذا
كانت في مواضعها. و التجلی تارة یمثل الجمال و تارة یمثل الجلال فالوجه و الخدّ
و الشعر ترمز الى تلك المعانی الجمالیة و الجلالیة. و اللطف و القهر من صفاته تبارک
و تعالی. و لكل من وجوه الملاح و ذوائبهن نصیب من تلك الصفات الالهیة.
و يقول الشيخ محمد اللاهیجی فی شرح گلشن راز:^٤ ان وجه الملاح الجمیلات
الذی هو كالقمر المنیر لِمَا من لطف و نور و رحمة یشابه تجلی الجمال. و لشعر رأس
الفاتنات الظرفیات الرائعات، مناسبة تامة مع التجلی الجلالی لما فیہ من ظاهر
الظلمة و التشتت و الحجاب، و وجه الحیب و شعره مثال لتجلی الجمال و الجلال،
بل فی الحقیقة عین تجلی الجمال و الجلال.

وَلَمَّا كان الاحتجاب و القهر یلازمان الجلال، والنور و اللطف و الرحمة تلازم
الجمال، لهذا أجاب الشيخ الشبستري:

صفات حق تعالی لطف و قهر است رخ و زلف بتان را زان دو بهر است
و اللطف و القهر من صفات الله تعالی و لوجوه الملاح الجمیلات و ذوائبهن
نصیب منها، لكن يجب أن نلاحظ بأن وجه الشبه بين المعانی المحسوسة و المعقولة
العرفانیة او بين المعانی الظاهریة و الباطنیة لیس شبيها کلیا لان بين المحسوس
و المعقول مسافة بعيدة ولا يجوز للعارف أن يبحث و يتفحص التشابه التام بين

المحسوس و المعقول، وکما قيل؛ يكفى فى التشبيه أدنى ملايسة. ولهذا قال الشيخ الشبستري:^۵

ولى تشبيه كلى ليست ممكن زجستجوى آن مى باش ساكن
«ولكن التشبيه التام غير ممكن ولا تذهب فى طلب المشابهة التامة.» فالمقصود
من الوجه فى العرفان هو ظهور التجلى الجمالى الذى يكون سبب وجود الاعيان و
ظهور أسماء الحق سبحانه.^۶

والشعر، فى مصطلحات العرفاء «كناية عن المرتبة الامكانية من الكليات و
الجزئيات والمعقولات و المحسوسات و الارواح و الاجسام و الجواهر و الاعراض أو
كناية عن ظلمة الكفر»^۷ و ما أحسن قول السنائى:

زلف را شانه زدى بازچه رسم آوردى كفر درهم شده را پرده ايمان كردى
(مشطت شعرك بالمشط ثم أية سنة جديدة أتيت بها؟ جعلت الكفر الشعث
ستارا للايمان وأسدلته على وجهك).

و كما يقول محمد اللاهيجى انّ المقصود من الوجه صفات الله اللطيفة والمراد
من الشعر صفاته القهرية عزوجل.^۸

و للمغربى فى الوجه و الشعر ابيات عرفانية رائعة^۹.

مرا از روى هر دلبر تجلى مى کند رويش نه از يكسوش مى بينم كه مى بينم زهرسويش
كشيد هر دم مرا سوئى كمنند زلف مهرئى كه اندر هر سرموئى نمى بينم بجز مويش
ندانم چشم جادويش چه افسون خواند بر چشمم كه در چشمم نمى آيد بغير از چشم جادويش
فروغ نور رخسارش مرا شد رهنما ورنه كجاره برد مى سويش زتاريكى گيسويش
از آن در ابروى خوبان نظر پيوسته مى دارم كه در ابروى هر مه رو نمى بينم جز ابرويش
به پيش مغربى هر ذره زان رو مشرقى باشد كه از هر ذره خورشيدى نمايد پرتو نورش
«يتجلى تبارك و تعالى لى من وجه كل حبيب ولا أرى الله تعالى من جانب واحد
بل يتجلى لى من كل الجوانب. يجذبنى كل لحظة شرک غداً جميل الوجه الى
جانبة لأئى لا أرى فى رأس كل شعرة إلا شعرة يعنى شأناً من شؤونه الجمالية. لست

أدرى أئى رُقِيَّةٍ نفثت عينه الفاتنة فى عينى حتى لا يتمثل فى عينى سوى عينه الساحرة. دلتنى لمعات وجهه اليه وإلأكيف يمكننى ان اهتدى اليه من ظلمات شعره.

و أرنو الى حواجب الملاح لأئى لا أرى فى حاجب كل جميل الوجه إلأ حاجبه. كل ذرة عند «المغربى» من ذلك الوجه مَشْرِقٌ، لأن كل ذرة من تجليات وجهه تمثّل شمسا.

و من الالفاظ التى يستعملها العرفاء كثيرا فى أشعارهم و أقوالهم «المدام والخمر» و فى الادب الفارسى «باده و مى»، و على هذا الاساس توجد لدينا قصائد و أشعار من اكابر عرفاء العرب و الفرس كابن الفارض المصرى، و المولوى، و الحافظ والسعدى الشيرازيين، يصفون خمر الحب و سُكَّرَ الوجدِ و نشوته. و فى هذا البيان نبتدى بشرح بيت معروف من القصيدة الخمرية لابن الفارض المصرى و نبين بعض معانى الخمرة العرفانية فى خلاله.

قال ابو حفص عمر بن الحسن المعروف بابن الفارض المصرى فى مطلع قصيدته الخمرية^{١٠}.

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
و الشاعر العارف الايرانى نورالدين عبدالرحمن الجامى نقل القصيدة بتمامها الى الفارسية و شرحها فى رسالته العرفانية المسماة باللوامع و هو فى هذه الرسالة بعد ترجمة كل بيت من القصيدة يُنشد ابياتا بالفارسية و يشرح فيها الغوامض العرفانية المندرجة فى شعر ابن الفارض فمثلا يقول فى شرح مطلع قصيدة ابن الفارض:^{١١}
«نوش كرديم و با يكديگر به دوستكامى خورديم، برباد حضرت دوست كه روى محبت همه بدوست، شرابى كه بدان مست شديم، بلکه به بوئى از آن از دست شديم. و اين پيش از آفريدن كرم بود كه درخت انگور است، و ماده شراب پرشر و شور» و يضيف الى ذلك الشرح:

روى كه مدار چرخ و أفلاك نبود آميزش آب و آتش و خاك نبود

بریاد تو مست بودم و باده پرست هر چند نشان باده و تاک نبود
(کنت سکران من ذکراک، مغرما بخمر حبک منذ ذلك اليوم الذى لم تكن
الافلاک تدور، و قبل امتزاج الماء و النار و التراب على انه لم يكن يومئذ أثر لخمرا و
کرم. و ما أجمل شعره عندما يقول: ^{۱۲})

مائیم زجام عشق تو جرعه کشان بر جرعه کشان خود گذر جرعه فشان
بریاد تو آن صبح صبوحی زده ایم کز تاک نشان نبود و از تاک نشان
و ابن الفارض حينما يقول: شربنا على ذكر الحبيب و سكرنا و كان ذلك الشرب
قبل خلق الكرم يشير الى أن الانسان خلق في مرحلتين.

المرحلة الاولى هي قبل الابدان و الاجسام، كما جاء في الحديث: «خلق الارواح
قبل الابدان»، و: «كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين».

والمرحلة الثانية: هي الخلقة العنصرية الناسوتية أنشأها الله تبارك و تعالى بكلمة
«كُنْ» فهبط طائر روح الانسان على الارض و الى الممكنات. و يقول استاذى المرحوم
الحكيم محيي الدين مهدي الهی قمشه ای فی قصيدة بالفارسية. ^{۱۳}

کیست صیاد و چه دامیست نهان کز همه سو ما که سیمرغ و جودیم شکار آمده ایم
من هو الصیاد و أى شرک أخبأنا، حتى نفع فی الاحبولة من كل جهة و نحن الرخ
بوجودنا و بأسنا: و يقول الله عز و جل فی هذا المعنى:

ان مثل عیسی عند الله کمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له کن فیکون. ^{۱۴}

و ما أحسن و أجمل قول مولانا جلال الدین الرومی فی تفسیر هذا المعنى ^{۱۵}

جرعه ای چون ریخت ساقی ألت	بر سر این خاک شد هر ذره مست
جوش کرد آن خاک و ما زان جوششیم	جرعه دیگر که بس بی کوششیم
تافت نور صبح ما از نور تو	در صبوحی بامی منصور تو
داده تو چون چنین دارد مرا	باده کی بود که طرب آرد مرا؟
باده در جوشش گدای جوش ماست	چرخ در گردش أسیر هوش ماست
باده از ماست شد نی ما از او	قالب از ما هست شد نی ما از او

ما اكر قلاش اكر ديوانه ايم مست آن ساقى و آن پيمانه ايم
 بر خط فرمان او سر مى نهم جان شيرين را گروگان مى دهيم
 اشتران بختى ايم اندر سبق مست و بيخود زير محملهاى حق
 مست حق هشار نبود از دبور مست حق بيخود بود تا نفخ صور
 خاصه آن باده كز خم نُبى است نه مى اى كه مستى آن يكشيبى است
 و يقول الشيخ الرئيس ابوعلی بن سینا، فى العينية الغراء، مشيرا الى هذا
 المعنى: ١٦

هبطت اليك من المحل الارتفاع ورقاء ذات تعزز و تمنع
 محجوبة عن كل مقلة عارف وهى التى سفرت و لم تتبرقع
 وصلت على كره اليك و ربما كرهت فراقك و هى ذات تفجع
 أنفت و ما أنست فلما و اصلت ألقت مجاورة الخراب البلقع

و قول ابن الفارض «من قبل أن يخلق الكرم» أنه قبل ان تخلق الممكنات، و يجوز
 ان نقول إنَّ المدامة المذكورة هى كناية عن «عهد ألت»؟ كما جاء فى القرآن
 الكريم^{١٧} (أذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألت
 بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين).

و يقول خواجه عبدالله الانصارى فى تفسير هذه الآية الشريفة: ١٨

«فاذا تأمل الانسان فى هذه الآية بالدقة يتجلى له معان أخرى، و يذوق منها
 حلاوة و ذوقا، و بيدوله معنى غير المعنى الظاهرى، و هى اشارة الى بداية أحوال
 الأصدقاء، و عقد العهد، و أخذ يمين الصداقة منهم اليوم الاول فى عهد الأزل حيث
 كان الحق حاضرا و الحقيقة حاصلة. أحسن و أجمل بيوم كان يوم بناء الصداقة و
 أعزز بوقت كان وقت أخذ عهد الوفاء و الاخلاص. لا ينسى المريدون و المشتاقون
 أول يوم اتصلوا بشيخهم و مرشدهم و يحسبون يوم الوصال تاج العمر و قبلة الأيام و
 قال الله تبارك و تعالى لنبيه الكريم. أن اذكر لعبادى الذين نسوا عهدنا و شغلوا بغيرنا
 ذلك اليوم الذى عاهد فيه روحه الطاهر الطيب مع الله عهد الصداقة و تمسح عين

اشتياقهم هذا التوتيا الذى ألت بربكم؟ قل تذكر أيها المسكين ذلك اليوم الذى كان الاصدقاء يشربون فى مجلس الانس خمر ودنا من كأس المحبة وكان مقرّبوا الملا الأ على يقولون ما أعلاهم همّة! نحن لم نذق من هذا الخمر قطّ ولا وجدنا رائحة منها و أصوات هولاء الفقراء وضوضاؤهم وصلت العيوق قائلين: هل من مزيد.

زان مى كه حرام نيست در مذهب ما تا گاه عدم خشك نيابى لب ما
«من تلك الخمرة التى ليست بمحرّمة فى مذهبنا ترى دائما شفتنا رّيا منها. والى هذا المعنى يشير الشيخ الرئيس أبو على سينا فى قصيدته العينية:

وأظنها نسيت عهدا بالحمى و منازلا بفراقها لم تقنع
تبكى وقد ذكرت عهدا بالحمى بمدامع تهمنى و لم تتقطع
و يقول الامام فخرالدين الرازى:^{١٩}

شربنا على الصوت القديم قديمة لكل قديم أول هى أول
ولو لم تكن فى حيز قلت أنّما هى العلة الأولى التى لا تعلق
المعانى العرفانية للشراب و الخمر:

لا بدّ أن نذكر أولاً أن منبع هذا الاستعمال العرفانى هو من الاسلام و فى القرآن الكريم آيات نحو: «ألت بربكم قالوا بلى» و: «علّم آدم الاسماء كلها» و كما ذكرنا فى المباحث الأنفة كان نظر العرفاء فى استعمال لفظ الشراب الى تلك الآيات و المعانى، و نحن أيضا، فى هذا البحث، نريد بيان و تطبيق عقائد عرفاء العربية و الفارسية حول شراب الحقيقة. و يجب أن لانسى أن فى القرآن المجيد آيات ذكر فيها عن شراب الحقيقة واللّه تبارك و تعالى بعد ما ينهى المسلمين عن شرب الخمر المفسدة فى هذه الدنيا قائلا: «انما الخمر و الميسر و الأنصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون»^{٢٠} يعّد المؤمن المفلحين شرب الشراب الطاهر الحلال الطهور.^{٢١} و يقول جلّ جلاله. «الا عباد اللّه المخلصين، أولئك لهم رزق معلوم فواكه و هم مكرمون فى جنّات النعيم. على سرر متقابلين. يطاف عليهم بكأس من معين، بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غول و لا هم عنها ينزفون.»^{٢٢}

ويوعد الكافرين والعاصين بأن لهم الحميم.^{٢٣} ويقول: «والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم»^{٢٤}

خمر الحقيقة و شراب السالكين في الادب العربي و الفارسي

للشيخ أبي الحسن البوريني و عبدالغنى النابلسي على ديوان ابن الفارض شرح قيم عظيم وفي شرح القصيدة الخمرية حينما يصفان خمر العرفان يقولان: «إن الصوفية يذكرون في عباراتهم الخمره باسمائها و أوصافها و يريدون بها ما ادار الله تعالى على ألبابهم من المعرفة أو من الشوق و المحبة».^{٢٥}

و يقول المولى محسن الفيض الكاشاني في رسالته «گلزار قدس» المطبوعة في مقدمة ديوانه و في كتاب المشواق حول الخمر العرفانية:

«الشراب» هو الذوق والوجد والحال الذي يرد على قلب السالك العاشق من قبل المعشوق و المحبوب في أوان غلبة المحبة و يسكره و يغير حالته لان غلبتها تهدم القواعد العقلية و تنقض المعاهد الوهمية التي هما مبدأ انتشاء الكثرة الرسمية و النسبة الاعتبارية. «والساقى» هو عبارة عن الحقيقة باعتبار ظهورها في كل مظهر تجلت فيه و سقاء محفل العشق (ساقيان بزم عشق) كناية عن السمع والبصر في الإنسان لان اكثر علل السكر يولد من هذين الطريقتين. و يُعبَرُون عن تجليات الأفعال «بالكأس» و في الفارسية «بجام» و عن تجليات الاسماء والصفات «بالقدح» و «الكوز» و في الفارسية «بسبو و خم» و التجليات الذاتية التي توجب الفناء لله و البقاء في الله «بالبحر و القلزم». و في الفارسية ب «دريا» و تلك الذوق و البهجة التي تنشأ من تجلي الذات و تلذ السالك و تطهره عن ملامى الحياة و تفنيه في قلزم الوجود هي شراب طهور.^{٢٦}

پیش از این کاندلر جهان باغ و زر و انگور بود از شراب لا یزالى جان ما مخمور بود^{٢٧}

العرفاء يعتقدون بأن جميع العالم من الغيب والشهادة كبيت خمر فيه شراب الحياة و محبة الله تبارك و تعالى، و كل ذرة من ذرات العالم بحسب امكانياتها و استعداداتها الخاصة

هی کأس لشراب محبة الله تعالى و قدح كل الموجودات مملوء من هذا الشراب.
 همه عالم چو یک خمخانه اوست دل هر ذره‌ای پیمانۀ اوست
 خرد مست و ملائک مست و جان مست زمین مست و هوا مست آسمان مست
 شده ذو عقل کل حیران و مدهوش فتاده نفس کل را حلقه در گوش
 ملائک خورده صاف از کوزه پاک بجرعه ریخته دُردی بر این خاک
 عناصر گشته زان یک جرعه سرخش فتاده گه در آب و گه در آتش
 و لهذا أَكثَرُ الافراد حائرون و یهیمون فی بادیة العشق و الطلب و یطلبون
 المحبوب الحقیقی و المرشد والهادی لکی یهدیهم الی طریق وصاله سبحانه و
 ینجیهم من قید أنفسهم.

یکی از بوی دُردش عاقل آمد یکی از رنگ زردش ناقل آمد
 یکی از نیم جرعه گشته صادق یکی از یک صراحی گشته عاشق
 یکی دیگر فرو برده بی‌کبار خم و خمخانه و ساقی و خمار
 و جاء فی شرح گلشن راز^{۲۸}: أن «الشراب» کنایة عن السكر بصورة مطلقة و هو
 محبة الحق و جذبته فی العشق و شَبَّهوا الذوق والسكر بالشراب كما یقول الشاعر:
 پر شد ز شراب پیش جام دل ما وز لوح وجود شست نام دل ما
 "الشراب" عبارة عن الذوق و البهجة والحال الذي يتوجه فجأة الی قلب السالك
 من تجلی المحبوب الحقیقی و یسکره و یغیر حالته.^{۲۹}

ریخت ساقی جرعه‌ها در کام دل هم نشد سیراب درد آشام دل
 هفت دریا را بیک دم در کشید میزند او نعره اهل من مزید
 در حقیقت زانکه دل شد جام جم مینماید اندر او هر بیش و کم
 ساقیا می‌ده که هشیارم کند مستی اش زین خواب بیدارم کند
 زان می‌ای کارد خمارش نیستی فارغ از هستی و پندارم کند
 حَبْدًا و ما أحسن تلك الشربة الحلوة الطيبة التي هي ماء الشراب الطهور تسقى
 من يد الساقی الأبدی، و یا طِيبَ اللذة التي یجدها العارف من مشاهدة جمال

المحبوب و تلك المدامة.

از می عشقت عناصر سر خوشند از هوای روی تو در آتشدند.^{٣٠}
والمقصود من شراب التوحيد هو الفناء في الذات والتبري من جميع الشواغل
الباطلة.^{٣١}

چون زمستی می توان رستن زهستی، لاجرم عاشقان رامی پرستی به زطاعت آمدہ
و ما أجمل قول الشيخ شهاب الدين السهروردي في قصيدته الحائية العرفانية
التي تعتبر من ألطف و أعلى القصائد التي أنشدت في هذا الموضوع.^{٣٢}
قم يا نديم الى المدام و هاتها في كأسها قد دارت الأقداح
من كرم اكرام بدن ديانة لا خمرة قد داسها الفلاح
هي خمرة الحب القديم و منتهى غرض النديم فنعم ذاك الراح
و في كتاب «المعارف و هو مجموعة من مواعظ و كلمات سلطان العلماء بهاء الدين
محمد بن حسين الخطيبي البلخي المشهور ببهاء ولد، جاء هكذا»^{٣٣} الذي يرى الجنة
و النار و قصده من العبادة دخول الجنة و الابتعاد عن النار و يرى نفسه هو عارف
لنفسه لا عارف لربه، ليس عمل الانبياء عقليا، بل شراب كأسه الروح و العقل مجنون
لهذا الشراب.

زان می خوردم که روح پیمانہ اوست زان مست شدم کہ عقل دیوانہ اوست
روزی بمن آمد آتشی در من زد آن شمع کہ آفتاب پروانہ اوست

السكر و مقامه في العرفان

يقول عزالدين محمود بن علي الكاشاني في كتاب مصباح الهداية و مفتاح
الكفاية:^{٣٤} ان لفظ السكر في عرف المتصوفة عبارة عن رفع التمييز بين الأحكام
الظاهرية و الباطنية بسبب إختطاف نور العقل في أشعة نورالذات، و الصوفية يسمون
تلك الوجود و البهجة التي تولد من الذات باعتبار تواترها و قوة غلبتها بالحال، و
باعتبار رفع التمييز بالسكر. و قال أبوبكر الواسطي من مشائخ القرن الرابع: «مقامات
الواجدين أربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو. كمن سمع بالبحر ثم دنامنه ثم

دخل فيه ثم أخذته الامواج.

و مثلما يكون التواجدُ مقدمة الوجد فيكون التساكر مقدمة السكر، و المتساكر الصادق هو الواجد الذي لَمّا يصل الى مقام السكر. و المشتاق و المتطلع هو الذي تَصَرَّفُ غَلْبَةِ الحال، بخطفة يخرج من يد التفرقة و يغرقه في الجمع اذن فالمتساكر هو أهل الوجد، و السكران هو أهل غلبة الوجد. و الصاحي هو اهل الوجود، و بعبارة أخرى يدعون المتساكر أهل الذوق و السكران أهل الشرب و الصاحي أهل الرئ. الذائق هو الواجد الذي تنطفئ نار وجده بسرعة كمثل الذي لم يذق من الشراب إلاّ حسوة. الشارب هو الواجد الذي أمداد وجده متواتر و متلاحق، و قوة عقله من غلبات ذلك الوجد مغلوبة مثل شارب أدوار كأسات شرابه متعاقبة، و رأس حبل التمييز من يد تصرفه مسلوب. و الريان هو الواجد الذي من غاية تمكنه و قوة حاله لا يتغير ولا يتأثر من تواتر أمداد الوجد كشارب مدمن أصبحت طبيعة الشراب من جملة وجوده و مهما شرب لا يسكر و لا يخرج من حد التمييز.

شربت الحبّ كأساً بعد كأس فما نفذ الشراب ولا رويت

يقول السهروردي في كتاب «عوارف المعارف» في جملة اصطلاحات اهل التصوف^{٣٥}: و منها الذوق و الشرب و الرئ. فالذوق ايمان و الشرب علم و الرئ حال. فالذوق لأرباب البوادة و الشرب لأرباب الطوابع و اللوائح و اللوامع و الرئ لارباب الاحوال. و في كتاب طبقات الصوفية^{٣٦} من قول حبش بن داوود من مشائخ بغداد هكذا منقولة: «من أسكرته أنوار التوحيد حجبتة عن عبارة التجريد لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكتوم». و ما أحسن مانظمه الحافظ الشيرازي في شأن اباحة السّر قائلا: ان سكران الحقيقة قد يعلن و يظهر المخفيات المكتومة و اذا أظهر سر الحق و أعلنه أبيع دمه و هدر.^{٣٧}

گفت آن یار کز وگشت سردار بلند جرّمش این بود که اسرار هویدا می کرد

والشيخ شهاب الدين السهروردي يقول في هذا:^{٣٨}

وا رحمتا للعاشقين تكلفوا ستّر المحبة والهوى فضّاح

بالسّر ان باحو تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح
 واذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السّفاح

النتيجة الاولى من لسان السهروردي والمولوي والحافظ والصاحب والجامي:
 وفي ختام هذه المقالة يلزمني أن أذكر اشعاراً للشيخ شهاب الدين السهروردي
 يذكر فيها مجلس شراب الحقيقة و يصف فيها شمس تلك الخمرة التي أشرقت و
 أنارت قلب جميع العارفين الحاضرين في ذلك المجلس.^{٣٩}

لأنوار نور الله في القلب أنوار وللسر في سرّ المحبين أسرار
 ولما حضرنا للسرور بمجلس وحتّ بنا من عالم الغيب أسرار
 ودارت علينا للمعارف قهوة يطوف بها من عالم الغيب خمّار
 فلما شربناها بأفواه دنّها أضاءت لنا منها شمس و أقمار
 وكاشفنا حتى رأينا جهرة بأبصار صدق لا تواريه أستار
 وخالقنا في سكرنا عند محونا قديم عليم دائم العفو جبار
 سجدنا سجودا حين قال تمتعوا برؤيتنا انسى لكم جار
 و شيخ الاشراف في هذه الابيات يذكر في الحقيقة اتحاد العاشق والمعشوق
 ويصف تجلي الصديق والمحبوب. و مقصود العرفاء من شرب هذه المدامة هو
 الوصول الى هذه المقامات والفناء في ذات المحبوب الحقيقي يعنى الله عزوجل
 لأننا لله وانا إليه راجعون وكما يقول المولوي.^{٤٠}

عارفان كه جام حق نوشيده اند رازها دانسته و پوشيده اند
 هر كه را اسرار حق آموختند مهر كردند و دهانش دوختند

وكما يقول لسان الغيب الحافظ الشيرازي^{٤١}:

ساقی آر باده از این دست به جام اندازد عارفان را همه در شرب مدام اندازد
 ور چنین زیر خم زلف نهده دانه خال ای بسا مرغ خرد را که به دام اندازد
 ای خوشا حالت آن مست که در پای حریف سر و دستار نداند که کدام اندازد

ویقول أيضاً: ۴۲

کرشمه تو شرابی به عارفان پیمود که علم بی خبر افتاد و عقل بی حس شد
و ما أحسن قوله في هذا المعنى. ۴۳
عارفی را که چنین ساغر شبگیر دهند کافر عشق بود گر نبود باده پرست
و كما يقول ابن عباد: ۴۴

رق الزجاج و رقت الخمر فتشابها و تشاكل الأمر
فكأنه خمر ولا قدح وكأنها قدح ولا خمر

ویقول الجامی العارف الشهير: ۴۵

از صفای می و لطافت جام به هم آمیخت رنگ جام و مدام
همه جامست و نیست گویی می یا مدامست و نیست گویی جام

النتيجة الثانية:

أنه يجب لكل من يريد الإقبال على آثار العرفاء، خاصة اشعار شعرائهم، و
إستقبال فهم معانيهم، أن يدْرُس مصطلحاتهم و يسعى في فهم معانيها و حقائقها و
إدراك الأعراف الخاصة لهم و طرق سيرهم من المخلوق إلى الخالق الأزلي و العبد
إلى المعبود الأبدى، حتى يَحْضُلَ له الوجد و الحال و السكر و انواع الفناء بعد
التماسه من حضرته العليّ الاعلى حوله و اجازته. كما يقول لسان الغيب: ۴۶:

تا نگردي آشنا زين پرده رازی نشنوی گوش نامحرم نباشد جای آواز سروش
در حریم عشق نتوان دم زد از گفت و شنید زانکه آنجا جمله اعضا چشم باید بود و گوش

والله الموفق و المعين و عليه التكلان

الحواشی و المراجع و المآخذ:

- ۱- دیوان الهاتف الاصفهانی، ص ۱۹، طبع مجله آرمغان، مطبعة شرق، سنة ۱۳۳۲.
- ۲ و ۳- گلشن راز، الشيخ محمود الشبستری، ص ۴۶ و ۴۷، مكتبة تاييد، اصفهان، سنة ۱۳۴۶.
- ۴- شرح گلشن راز، الشيخ محمد اللاهيجي، ص ۵۵۳، محمودی، مطبعة حيدري.

- ٥- گلشن راز، ص ٤٧، تأييد، اصفهان.
- ٦- معجم مصطلحات العرفاء، الدكتور سيد جعفر السجادي، ص ١٩٤.
- ٧- معجم مصطلحات العرفاء، الدكتور سيد جعفر السجادي، ص ٢٠٦.
- ٨- شرح گلشن راز، اللاهيجي، ص ٥٥٤.
- ٩- ديوان المغربي، الطبع الحجري، ص ٦٧ و ٦٨.
- ١٠- ديوان ابن الفارض، طبع مصر، محمود توفيق، ص ٨٢.
- ١١- كتاب اللوامع، مولانا عبدالرحمن الجامي، ص ٢٧، من منشورات بنياد مهر.
- ١٢- كتاب اللوامع، مولانا عبدالرحمن الجامي، ص ٢٧، من منشورات بنياد مهر.
- ١٣- ديوان محيي الدين مهدي الهی قمشه ای (نغمه الهی)، ص ٤٠١ طبع مطبعة علمي.
- ١٤- القرآن الكريم، آية ٥٢ من سورة آل عمران.
- ١٥- المثنوي، لجلال الدين محمد المولوي. لب لباب مثنوي، مولی حسين واعظ كاشفي، ص ٤١٥، نسخة الحاج سيد نصرالله تقوی مع مقدمة الدكتور سعيد النفیسی.
- ١٦- راجع ترجمة الشيخ الرئيس ابی علی السينا فی كتاب وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان للقاضي ابن خلكان.
- ١٧- القرآن الكريم، آية ١٨١ من سورة الأعراف.
- ١٨- التفسير الادبي و العرفاني من القرآن المجيد، خواجه عبدالله الأنصاري، ص ٣٦٠، تلخيص حبيب الله آموزگار.
- ١٩- منقول من شرح ديوان ابن الفارض، النابلسي و البوريني، المجلد الثاني، ص ٤٥.
- ٢٠- القرآن الكريم، آية ٨٩ سورة المائدة.
- ٢١- القرآن الكريم، آية ٢٠ و ٢١ من سورة الدهر (وسقاهم ربهم شرابا طهورا).
- ٢٢- القرآن الكريم، آيات ٣٩ حتى ٤٧ من سورة الصافات.
- ٢٣- القرآن الكريم، آيات ٥٤ و ٥٥ من سورة الواقعة.
- ٢٤- القرآن الكريم، آية ٤ من سورة يونس.
- ٢٥- شرح ديوان ابن الفارض، لابی الحسن البوريني و عبدالغني النابلسي، ج ٢، ص ١٤٤.
- ٢٦- کلیات ديوان فيض الكاشاني، ص ٢٠ و ٢١ من منشورات مكتبة شمس، تهران، اسلامية.
- ٢٧- من اشعار الشيخ فريد الدين العطار النيشابوري.
- ٢٨- شرح گلشن راز - اللاهيجي، ٣٤، طبع مطبعة محمودي.
- ٢٩- شرح گلشن راز، اللاهيجي، ص ٦٠١، طبع مطبعة محمودي.
- ٣٠- شرح گلشن راز، اللاهيجي، ص ٥٣٢، طبع مطبعة محمودي.
- ٣١- شرح گلشن راز، اللاهيجي، ص ٦١٣، طبع مطبعة محمودي.

